كتب

يتطرّق الباحث اللبناني المتخصّص في التاريخ التركي إلى أبرز الصراعات الداخلية والخارجية التي عاشتها تركيا خلال مئة عام منذ 1920، أي منذ أن تغيرت من شكل «الأمة» وأصبحت «دولة قومية»، مُعتبراً أنها الدولة الأكثر تأثّراً بماضيها

سيرة للدولة الأكثر تأثراً بماضيها

من أتاتورك إلى أردوغان

إسطنبول ـ **أحمد زكريا**

لعل الوصف الأدق للجمهورية التركية هو ما استخدمه الباحث اللبناني المختص في التاريخ التركي، محمد نور الدين، في مقدّمة كتابه الذي صدر حديثاً عن «شركة المطبوعات للتوزيع والنشر» بعنوان «مئة عام من تاريخ تركيا الحديث.. سيرة سياسية واجتماعية 1920 - 2020»، بأنها الدولة الأكثر تأثراً في حاضرها بماضيها. فكثير من المشكلات التي ظنّ «الغازي» مصطفى كمال، مؤسس الدولة التركية أنه استطاع حلّها آنذاك، تطفو على سطح المجتمع التركي اليوم من جديد.

يدرك الباحث منذ البداية أن مسألة رسم الهوية الثقافية والاجتماعية والسياسية لكيان الجمهورية التركية الوليدة، لم تكن أقل صعوبة من رسم الحدود الجغرافية للجمهورية على أنقاض دولة عليّة سادت قارتين منذ القرن الرابع عشر، ثم ثلاث قارات منذ عام 1517. ويتطرق الكتاب إلى أبرز الصراعات التي عاشتها تركيا خلال مئة عام، على المستويين الداخلي والخارجي، منذ أن تغيرت من شكل «الأمة» وأصبحت «دولة قومية».

ويرى نور الدين أن أبرز هذه الصراعات على المستوى الداخلي، تتمثل بالصراع العلماني - الإسلامي الذي رافق تاريخ الجمهورية منذ نشأتها، ولا يزال مفتوحاً حتى الآن. كذلك يظهر الصراع الداخلي أيضاً في مسألة الديمقراطية والاشتباك المفتوح بين المدنيين والعسكريين في المرحلة اللاحقة لحكم الحزب الواحد، وهو «حزب الشعب الجمهوري». أي بالانقلاب على الحزب الديمقراطي برئاسة عدنان مندريس عام 1960، وما تلاه من صراعات حول الديمقراطية وانقلابات عسكرية ومحاولات للانقلاب. ويتناول الصراع الداخلي أيضاً ما يُعرف بـ«المسألة القومية»، التي كانت أحد أبرز عوامل عدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي في تركيا، وقد وضعت أسس هذا الصراع في معاهدة لوزان التي لم تعترف بوجود هويات على أسس عرقية.

أما الصراعات على المستوى الخارجي، فيتناول الباحث وضع تركيا كجزء بنيوي من المعسكر الغربي وسياساته في المنطقة العربية، وكحليف وثيق لـ«إسرائيل»، ورأس حربة لحلف شمال الأطلسي في الصراع ضد الشيوعية. ويتعرّض أيضاً لعلاقات تركيا بالعالم العربي، التي كانت عرضة للمد والجزر على مدار عقود، وبحسب نور الدين، فإن هذه العلاقة قد أخذت منحىً جديداً تماماً، ليس فقط بوصول «حزب العدالة والتنمية» إلى الحكم، وانفتاحه على العالم العربي بعد قطيعة استمرت لعقود منذ نشأة الجمهورية التركية، ولكن باندلاع ثورات الربيع العربي، وما تلاها من محاولات لإعادة الروابط التاريخية والثقافية بين تركيا والدول التي كانت تحت سلطة الدولة العثمانية، في ما يعرف بـ«العثمانية الجديدة»، والتي يرى نور الدين أن سياسياً بارزاً مثل أحمد داود أوغلو لم ينكر هذه السياسة في حوار أجراه الباحث نفسه معه، وفي مناسبات أخرى.

يدخل الباحث إلى علاقة الأتراك بمصطفى كمال أتاتورك من خلال تناوله لحرب الاستقلال، ودور انتصار الأتراك على اليونانيين في معركة صكاريا بقيادة مصطفى كمال الذي منحه البرلمان بعدها لقب «غازي»، ويذكر كيف أسهمت هذه الانتصارات في تغيير النظرة إلى حكومة أنقرة داخليّاً وخارجيّاً، حيث وُقّعت على إثرها العديد من الاتفاقيات لترسيم الحدود الجديدة، وخصوصاً مع روسيا وفرنسا.

ومن خلال تفاصيل صغيرة، يسلط الباحث الضوء عليها، استطاع أن يصوّر لنا المناخ الجديد لتركيا ما بعد الجمهورية، بعد أن استقرت الأمور لأتاتورك وقضى على ثورة الأكراد بقيادة الشيخ سعيد بيران، وأخذ خطوات جذرية نحو «تحديث» المجتمع على الطراز الغربي. ومن بين هذه التفاصيل، مثلاً: تنظيم أوّل مسابقة لملكة جمال تركيا بدعم كامل من الحكومة في ظل أزمة اقتصادية عالمية بعد انهيار بورصة نيويورك عام 1929، وقد تأثرت تركيا كثيراً بهذه الأزمة.

ومن بين التفاصيل التي تسلّط الضوء على أوضاع الحريات في عهد أتاتورك وخليفته إينونو: اعتقال الشاعر ناظم حكمت بعد العثور على دواوينه الشعرية في خزائن العديد من طلاب المدرسة الحربية في أنقرة، وحكم المحكمة عليه بالسجن 15 عاماً. وقضية المدرسة البحرية أيضاً، بعد العثور على كتب ناظم في خزائن طلابها، فاعتُقِل 62 شخصاً، من بينهم الروائي كمال طاهر والمُنظّر الماركسي حكمت كيفيلجيملي والروائي كريم كورجان، واتهام ناظم بالتعاون مع السوفييت ضد تركيا، والحكم عليه بعشرين سنة أخرى، وهو داخل السجن.

وبينما يرى الباحث أن أتاتورك قد وجّه ضربة قوية إلى المنظومة الدينية القديمة، إلا أنه يؤيد أنها كانت إصلاحات ضرورية لإحداث هزّة في تلك المنظومة التي كان انهيارها حتمية تاريخية. إلا أن الخطأ الأكبر من وجهة نظر نور الدين، أن أتاتورك قد استعجل في إحلال المنظومة الجديدة دون أن تستوعب الشرائح الاجتماعية تلك التغييرات. ولهذا السبب، يرى الباحث أن التذمُّر من التشدد الأتاتوركي قد انعكس على أول انتخابات ديمقراطية عام 1950، وهو ما أدى إلى إخفاق حزبه بقيادة إينونو في الاحتفاظ بالسلطة، حيث فاز حزب مندريس بأغلبية ساحقة.

نجد في الكتاب أيضاً لمحات عن الحياة الثقافية في أربعينيات القرن الماضي، تتمثل بتيار «غريب» الشعري الذي أسسه الشاعر أورهان ولي مع الشاعرين رفعت أوكتاي ومليح جودت. وهو التيار الذي نادى بالتحرر الكامل من الوزن الشعري، بعد أن فتح ناظم حكمت الباب أمام التجديد في الشكل والمضمون منذ ديوانه الأول عام 1929. وقد استخدم شعراء التيار لغة الحياة اليومية في أشعارهم، ويتطرق الكتاب كذلك إلى أبرز السجالات الأدبية في تلك المرحلة بين المجددين والمحافظين.

يتناول الكتاب أيضاً علاقة تركيا بـ«إسرائيل» منذ اعترافها بدولة الكيان الصهيوني عام 1949، ويرى نور الدين أن حكومة إينونو في تركيا قد سمحت بهجرة اليهود إلى «إسرائيل» للتخلّص من الأقليات غير المسلمة وإقامة دولة تركية صافية. ويؤكد أن العلاقات الاقتصادية والثقافية بين تركيا و«إسرائيل» قد شهدت تطوّراً ملحوظاً، وفي هذا السياق، أنشأ اليهود من الأتراك المهاجرين غابة باسم أتاتورك في جبل الكرمل عام 1953. كذلك كانت أول مباراة كرة قدم يلعبها فريق «هبوعيل تل أبيب» خارج «إسرائيل» في تركيا أمام فريق «فنار بهتشه».

نقاشات جديدة شهدها المجتمع التركي بوصول الحزب الديمقراطي إلى الحكم برئاسة عدنان مندريس عام 1950، يتعرض لها الباحث، كمسألة إعادة رفع الأذان باللغة العربية وبعض القرارات الأخرى التي اتخذها مندريس في سبيل الانفتاح على الإسلاميين الذين نبذهم الحزب الجمهوري لعقود. إلا أن المثير للانتباه، أن نور الدين يرى أن هذا الانفتاح لم يكن مقتصراً على الحزب الديمقراطي فقط، لكنه أصبح سمة لكل الأحزاب في تلك الفترة، بما فيها حزب الشعب الجمهوري الأتاتوركي، الذي يرى الباحث أنه عمد إلى توظيف الدين في خدمة السياسة أيضاً، بعد أن أدركت جميع الأحزاب الميول الدينية للشعب التركي.

وعلى عكس ما يُشاع في الدراسات العربية حول مرحلة مندريس (1950-1960)، ووصفها بـ«المرحلة الديمقراطية»، يرى نور الدين أن مندريس قد انتهج سياسات قمعية ضد المعارضة، سواء داخل حزبه أو ضد الصحافة والحريات عامة. وفي هذا السياق يذكر نور الدين عدة أمثلة، كالاعتداءات المادية والمالية على بعض نواب حزب الشعب الجمهوري، واعتقال عدد كبير من الصحافيين في عهده، وإغلاق العديد من الصحف بقرارات قضائية مثل صحيفة «الشرق الكبير» و«خلق» و«أولوس»، وملاحقة بعض الفنانين، كمحاكمة المغنّي التركي الشهير زكي موران بتهمة تحقير شرطة السير، والحكم على الشاعر والمفكر الإسلامي نجيب فاضل بالسجن خمس سنوات بتهمة تحقير أتاتورك.

يستعرض الكتاب أيضاً أبرز القضايا التي شهدها المجتمع التركي خلال عقد الستينيات بعد الانقلاب العسكري على مندريس وإعدامه عام 1961، كعودة المسألة الكردية والعلوية إلى الواجهة مرة أخرى. وبحسب الباحث، فإن الملاحقات التي شهدتها هذه السنوات لعدد كبير من المثقفين الأكراد، كانوا إما يساريين أو من ذوي النزعة الاستقلالية. وقد طالب العلويون أيضاً في تلك المرحلة بالمساواة بين المعتقدات وفق مبدأ العلمانية، وقد بدأت الصدامات بين السُّنة والعلويين في كهرمان مرعش التركية منذ عام 1966. وتعد قضية الأكراد والعلويين من أبرز الملفات الشائكة التي لم تُحل في تركيا حتى الآن.

باستثناء الجزء الأخير

أهم ما يميز هذا الكتاب هو تركيزه على السياق الاجتماعي أثناء تناوله الأحداث السياسية، وهو ما يسمح بتكوين صورة كاملة عن الحدث. وقد نجح الباحث في ذلك، باستثناء الجزء الأخير من الكتاب، الذي مرّ فيه سريعاً على أبرز الأحداث السياسية خلال فترة تولي «العدالة والتنمية» الحكم، دون الرجوع إلى الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى اكتساح الحزب في الانتخابات أو السياق الذي ظهر فيه.

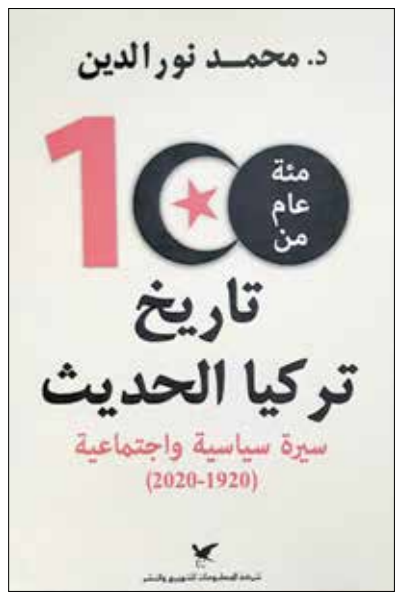

كثير من المشكلات التي ظنّ أتاتورك أنه حلّها ما زالت قائمة

لمحة عن الحياة الثقافية وسجالات المجددين والمحافظين

ملصق لأردوغان وأتاتورك في حيّ امينونو بإسطنبول، أيار 2018 (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

نظرة أولى

في ترجمة جديدة لأحد أبرز كتب المؤرخ الهندي السيد أمير علي (1849 - 1929)، صدرت طبعة جديدة محرّرة من كتابه «مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي» عن «الدار المصرية اللبنانية»، والتي نقلها إلى العربية رياض رأفت، بتحرير ودراسة حسام عبد الظاهر. يعدّ الكتاب محاولة لكتابة تاريخ العرب والمسلمين الاجتماعي وتطوّرهم الاقتصادي منذ الدعوة المحمدية وحتى القرن السابع عشر بشكل موسوعي يغطّي جوانب مختلفة من الحياة وطبيعة المجتمعات الإسلامية وتحوّلاتها الثقافية، بعيداً عن المدوّنة الأساسية التي تحفل بالفتوحات العسكرية فقط.

يتصدى كتاب «عصر الخشب.. مادتنا الأكثر فائدة وبناء للحضارة»، الصادر حديثاً لرونالد إينوس عن «منشورات سكرايبنر»، لتاريخ إحدى أبرز المواد التي لعبت دوراً كبيراً في صعود إمبراطوريات وسقوط أخرى من خلال الاستخدامات المتعدّدة للخشب، وصولاً إلى تأثير اقتلاع الغابات حول العالم وتصنيع أشجاره على النظام البيئي، حيث يطرح المؤلّف تساؤلات تتقاطع إجابتها مع حقول معرفية متعدّدة تتصل بالتاريخ والفنون والعمارة وعلم الآثار والأنثروبولوجيا وغيرها، في محاولة لفهم تطوّر تاريخ الإنسان منذ أن عاش فوق الشجر قبل ملايين السنين.

«أقْنِعَة كُوفيد (I): حِوَارِيَّة نَهْرِ حَيَاةٍ وإنْسَانِ وُجُودٍ» عنوان كتاب جديد للناقد والشاعر الفلسطيني عبد الرحمن بسيسو، صدر عن «خطوط وظلال». يصنف الشاعر كتابه، الذي يقوم على مزيج من الشعر والسرد، كـ«تأمُّلات وجوديّة»، ويتميز بأناقة اللغة وإشراقها وثرائها المعجمي في تمثّل كينوني لمأساة الإنسان المعاصر، ويضع فلسطين في القلب من كينونة المشرق العربي. كتب العمل بين نيسان/إبريل وتشرين الأوّل/أكتوبر 2020، في مدينة «براتسلافا» عَلى حَافَّة نَهْرِ «الدَّانُوب»، ويقع في ستة أجزاء، بدأها بـ «آخَرِي وَأَنَا فِي بُرْهَةِ عَدَمْ» وختمها بـ «قَدْ أَبْصَرتُ «الدَّانُوبَ» إِنْسَاناً، ونَهْرَ حَيَاة».

ضمن سلسلة «مجتمعيات»، صدر عن «دار الكتاب الأكاديمي» كتاب «ملحوظات في المجتمع العراقي» للأكاديمي العراقي خالد حوير الشمس. يُحاول العمل، الذي يندرج ضمن دراسات النقد الاجتماعي، رصد التحوّلات المجتمعية والفكرية التي شهدتها الجغرافيا العراقية خلال القرن الواحد والعشرين. بالاعتماد على التحليل النقدي للخطاب، يقرأ المؤلّف أنماط ما يُسمّيه السرد المجتمعي الذي يقول إنه يرسم صورةً عن البوصلة الثقافية الاجتماعية؛ مثل: الأهزوجة، والخمار، والصداقة، والبشرة السوداء، والغيرة، والجار، والمشيخة، والعزاء، وردّ السلام، والأسرة.

«الذات والآخر في الشعر الأندلسي» عنوان كتاب صدر مؤخراً للباحث المصري منتصر نبيه صديق عن «دار النابغة للنشر والتوزيع». يدرس العمل كيف صاغ الشعراء صورة المجتمع الأندلسي بمكوّناته الحضارية المتنوعة خلال فترة الحكم الإسلامي، كما يدرس تعدّد صور الآخر في القصائد، مبرزاً الوعي بالفوارق مع بقية مجتمعات الجزيرة الإيبيرية من جهة، ومع البلدان الإسلامية الأخرى. يرصد الباحث تغيّرات هذه الصور التي كانت تتمظهر في القصائد من الشعور بالزهو إلى الشعور بالاغتراب وصولاً إلى التعبير عن الهزيمة والانكسار.

صدر مؤخراً عن «دار نون» كتاب «مسرح الأطفال: البناء التربوي والجمالي» لـ موفق الطائي الذي يدرس مختلف عناصر العمل المسرحي، من النص إلى الأداء، من زاوية خصوصيات تلقيه من قبل جمهور الأطفال. يرى الطائي أن الكتابة لمسرح الطفل ينبغي أن تراعي إلى جانب المعطيات الثقافية - كما هو الحال في كل نص مسرحي - البُعد التربوي، وهو ما يحتاج معرفة بمجالات معرفية متعددة مثل علم نفس الطفل وعلوم التربية وعلم الاجتماع، ناهيك عن امتلاك الأدوات الفنية للكتابة المسرحية. يدرس الكتاب أيضاً مجموعة من المسرحيات الموجّهة للأطفال.

«أن نقرّر معاً: صناعة الإكراه الجماعي» عنوان كتاب صدر مؤخراً لعالم الاجتماع الفرنسي فيليب أورفالينو عن منشورات «سوي». يتأمّل المؤلف مفهوم «القرار الجماعي» باعتباره النموذج النظري لكل قرار يهم المجتمع الحديث، وهو ما يتجلّى في عدة مؤسسات أبرزها البرلمانات، وفي أحداث مثل تنظيم الانتخابات. يشير أورفالينو إلى بقاء هذا المفهوم في الظل، وهو ما يفسّر بحسبه الكثير من الإشكالات البحثية في مجالات مثل العلوم السياسية والاقتصاد، فبغيابه تُفقد القدرة على تفسير مفارقة أن يصل الناس إلى قرار يتبيّنون لاحقاً أنه ضد مصالحهم.

عن «منشورات سوتيميديا» في تونس، صدر حديثاً كتاب «سنوات الرمل: تفكّرٌ في معارك الانتقال الديمقراطي في تونس 2011-2014» للباحث والجامعيّ عدنان المنصر. يحصر المنصر مادته البحثية في الفترة التي تمتدّ من اندلاع الثورة حتى انطلاق الانتخابات الرئاسية والتشريعية، نهاية 2014، ويحاول تحليل الصراعات التي شهدتها هذه المرحلة، مستخدماً مختلف أدوات العلوم الاجتماعية. يخلص الباحث إلى أن الانتقال الديمقراطي في تونس وصل إلى طريق مسدودة، بسبب ما أفضى إليه من ديمقراطية تعاني من الفساد ودولة عاجزة واحتجاجات لا تكاد تتوقف.